ولما كان العلو مستلزما للقدرة قال تعالى وهو العلي على
كل شيء رتبة وعظمة ومكانة لا علو مكان وله نسبة
العظيم بالقدرة والقهر والاستيلاء وقوله تعالى تكاد
السموات قراءة نافع والكسائي بالياء التحتية والباقون
بالفوقية وقوله تعالى يتفطرن أي يتشققن وقراءة
شعبة وأبو عمرو بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء
مخففة والباقون بعد الياء بتاء فوقية مفتوحة وفتح
الطاء مشددة وقوله تعالى من فوقهن في ضميره
ثلاثة أوجه أحدها أنه عائد على السموات أي كل واحدة
منها تتفطر فوق التي تليها من عظمة الله تعالى أو من
قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم أي يبتدئ
انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة
بما قبلها الثاني أنه يعود على الأرضين لتقدم ذكر
الأرض الثالث أنه يعود على فرق الكفار والجماعات
الملحدين قاله الأخفش الصغير قال الزمخشري كلمة
الكفر أي على التفسير الثاني إنما جاءت من الذين تحت
السموات فكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن
أي من الجهة التي تحتها جاءت الكلمة لكن بولغ في ذلك
فجعلت مؤثرة من جهة الفوق فكأنه قيل يكدن يتفطرن
من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره
في المبالغة عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم

يصهر

يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم
الباطنة انتهى ولما بين تعالى أن سبب كيدودة انفطارهن
جلالة العظمة التي منها كثرة الملائكة وشناعة الكفر
بين لها سببا آخر وهو عظم قول الملائكة فقال تعالى
والملائكة يسبحون أي يوقعون التنزيه لله تعالى
متلبسين بحمد ربهم بإثبات الكمال للمحسن إليهم تسبيحا
يليق بحالهم فلهم بذلك زجل عظيم وأصوات لا تحملها
العقول ولا تثبت لها الجبال تنبيه عدل عن
التأنيث ولم يقل يسبحن مراعاة للفظ إلى التذكير وضمير
الجمع إشارة إلى قوة التسبيح وكثرة المسبحين فإن قيل
قوله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض عام فيدخل
فيه الكفار وقد لعنهم الله تعالى فقال سبحانه أولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فكيف
يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم أجيب
بوجوه الأول أنه عام مخصوص بآية غافر ويستغفرون
للذين آمنوا الثاني أن قوله تعالى لمن في الأرض لا يفيد
العموم لأنه يصح أن يقال استغفر للبعض من في الأرض
دون البعض ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك
الثالث يجوز أن يكون المراد بالاستغفار أن لا يعاجلهم
بالعقاب كما في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض
أن تزولا إلى أن قال تعالى إنه كان حليما غفورا الرابع

Copyright © King Saud University